لفظة (آمين)
حقيقتها ولغاتها ومعانيها

د. نوري ياسين الهيتي

المقدمة :

(آمين) كلمة تقال إثر الدعاء في الصلاة وخارجها. وهي مما تدعو الحاجة إلى معرفته والإلمام بكل ما يتعلق به، وذلك لكثرة دورها في الكلام، وترددها على ألسنة الناس أفرادا وجماعات في صلاتهم ودعائهم ومناجاتهم. ويكفي للدلالة على ذلك أنها تقال بعد الفاتحة في كل ركعة من ركعات الصلاة، يقولها الإمام والمأموم والمنفرد على السواء في الصلوات الجهرية والسرية على خلاف بين الفقهاء في تفاصيل ذلك. وتقال عند القنوت — وهو الدعاء في الصلاة — وبعد كل دعاء في غيرها، يقولها الداعي والسامع جهراً أو سراً في آخر الدعاء مرة واحدة، أو بعد كل فقرة مراراً كثيرة.

والتأمين مصدر أمَّن، أي: قال (آمين)، يقال: أمّن يؤمِّن تأميناً، وقائل (آمين) هو المؤمِّن.

وفي مشروعية التأمين وفضله والحض عليه وبيان حكمه وموقعه وجزائه أحاديث نبوية وآثار وأخبار كثيرة جداً، حفلت بها كتب الحديث والتفسير والفقه واللغة والغريب والنحو، أذكر هنا بعضها مقتصراً على ما يكفي في الدلالة على أهمية هذه اللفظة وضرورة إفرادها بالدراسة والبحث.

فقد ثبت مشروعية التأمين في السنَّة المطهرة من قول النبي ﷺ وفعله، ومن فعل أصحابه وقولهم، وكذا التابعين لهم وتابعيهم، وجرى عليه عمل الأمة

قروناً متعاقبة وآماداً متطاولة، من زمن النبوة إلى زماننا ثم إلى ما شاء الله بعد ذلك.

روى البخاري ومسلم وغيرهما عن أبي هريرة أن رسول الله ﷺ قال: (إذا أمّن الإمام فأمنّوا، فإنه من وافق تأمينُه تأمينَ الملائكة غُفر له ما تقدم من ذنبه)[١]. وورد بروايات وصيغ وألفاظ أخرى كثيرة.

وفي الصحيحين أيضاً وغيرهما عن ابن شهاب قال: (كان رسول الله ﷺ يقول: آمين).[٢]

وفي حديث وائل بن حجر: (سمعت النبي ﷺ قرأ: غير المغضوب عليهم ولا الضالين، فقال: آمين، ومدَّ بها صوته).[٣]

وفي البخاري أيضاً: (أمَّن ابن الزبير ومَن وراءه حتى إن للمسجد للجَّةْ).[٤]

وفيه أنَّ أبا هريرة كان ينادي الإمام: لا تَفُتْني بآمين[٥]. وروي مثله عن بلال بن رباح الصحابي.[٦]

وروي أن النبي ﷺ دعا في قنوت الصلاة على أحياء من بني سُليم ورِعْل وذكوان وعصيَّة، وأمَّن مَنْ خلفَه.[٧]

وفي مشروعية ختم كل دعاء بالتأمين روي عن أبي زهير النميري الصحابي أن النبي ﷺ مر على رجل قد ألح في الدعاء، فقال: " أوجب إنْ خَتَمَ " فقيل له: بأيِّ شيء يختم؟ قال: بآمينَ، فإنه إنْ ختم بآمينَ فقد أوجبَ.[٨]

وفي الحديث أن التأمين من خصائص هذه الأمة التي لم تكن لمن قبلها من الأمم، فقد روي من حديث أنس بن مالك قال: قال ﷺ: (إن الله أعطى أمتي ثلاثاً لم تُعْطَ أحداً قبلهم: السلام – وهو تحية أهل الجنة — وصفوف الملائكة، وآمين، إلا ما كان من موسى وهارون).[٩]

و(آمين) مما حسد عليه اليهود هذه الأمة فقد جاء في حديث عائشة أنه ﷺ قال لها: (تدرين على ما حسدونا؟ قلت: الله ورسوله أعلم، قال: فإنهم حسدونا على القبلة التي هدينا لها وضلوا عنها، وعلى الجمعة التي هدينا لها وضلوا عنها، وعلى قولنا خلف الإمام: آمين).(١٠)

ومما يزيد في أهمية هذه الكلمة أن قائلها – وهو المؤمّن – كالداعي سواءً بسواء، فقد سمّى الله – تعالى – التأمينَ دعاءً فقال في دعاء موسى – عليه السلام – ﴿وَقَالَ مُوسَى رَبَّنَا إِنَّكَ آتَيْتَ فِرْعَوْنَ وَمَلأَهُ زِينَةً وَأَمْوَالا فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا رَبَّنَا لِيُضِلُّوا عَنْ سَبِيلِكَ رَبَّنَا اطْمِسْ عَلَى أَمْوَالِهِمْ وَاشْدُدْ عَلَى قُلُوبِهِمْ فَلا يُؤْمِنُوا حَتَّى يَرَوُا الْعَذَابَ الأَلِيمَ﴾.(١١) ومن سياق الكلام ما يدل على أن هارون آمّن على دعاء موسى، فنُزّل منزلةَ الداعي لقوله تعالى بعدَه: ﴿قَالَ قَدْ أُجِيبَتْ دَعْوَتُكُمَا فَاسْتَقِيمَا وَلا تَتَّبِعَانِّ سَبِيلَ الَّذِينَ لا يَعْلَمُونَ﴾.(١٢) كذا قال علماء التفسير والحديث واللغة وغيرهم.(١٣)

وتتأكد ضرورة البحث في (آمين) بما ذهب إليه بعض أئمة السلف وعلماء اللغة والنحو من أنها اسم من أسماء الله تعالى. ولهم على ذلك أدلة سنوردها في محلها من هذا البحث.

والتأمين مبحث يذكره المفسرون في أوائل كتبهم، لتعلقه بفاتحة الكتاب، كونه يتلفظ به بعدها، مع أن (آمين) ليست من القرآن كما هو معلوم، ولذا أعرض بعضهم عن ذكره كما فعل أبو حيان في البحر المحيط، وقدنبه على انه أعرض صفحاً عن الكلام في آمين، لأنه ليس من القرآن.(١٤)

وهو أيضاً باب من أبواب الفقه، يذكر فيه مشروعيته وحكمه من كونه سنة أو مندوبا أو مستحباً – وكلها بمعنى واحد، إذ المراد أن التأمين مما ثبت بالسنة استحبابه أو ندبه – وتفصيل الكلام في حكم الجهر به أو الإسرار للإمام والمأموم في الصلاة الجهرية أو السرية وموضعه ووقت التلفظ به عند قول الأمام أو

المنفرد (ولا الضالين) أو بعد تأمين الإمام أو إرادته ذلك أو بعده، ونحو ذلك مما ذكره الفقهاء في كتبهم.(١٥)

وقد حفلت كتب شروح الحديث أيضاً، وكتب اللغة والغريب والنحو بالكثير من الآراء والاختلافات والتوجيهات في هذه الكلمة وحقيقتها ومعانيها، وما يتعلق بذلك من مباحث.

وبالنظر إلى جميع ما ذكر في هذه المقدمة رأيت أنه ينبغي إفراد هذه اللفظة ببحث يجلو حقيقتها، ويجمع أطراف كلام العلماء فيها، ويكشف عن كل ما تدعو الحاجة إلى معرفته من لغاتها ومعانيها، فكان هذا الجهد الذي أقدمه لدارسي العربية ولعموم الباحثين والمثقفين راجياً أن أنال به المثوبة عند الله، وأسهم في خدمة لغة القرآن والحديث والشريعة، ومن الله أستمد العون وأرجو السداد.

وقد رأيت — بعد استكمال جمع مادة هذا البحث من مختلف مصادرها، وقراءتها وتحليلها — أن أجعل الكلام في لفظة (آمين) في مباحث ثلاثة: الأول اذكر فيه حقيقتها من الناحية النحوية. والثاني أذكر فيه لغاتها. والثالث أذكر فيه معانيها، مستعرضاً في أثناء ذلك آراء علماء الحديث والتفسير واللغة والغريب والنحو، مرجحاً ما أراه راجحاً من أقوالهم بالدليل.

المبحث الأول ـ في حقيقة آمين ـ

المشهور عند الجمهور من النحاة واللغويين والمفسرين والمحدثين أن (آمين) اسم من أسماء الأفعال موضوع لاستجابة الدعاء. وذهب بعض أكابر العلماء إلى انه اسم من أسماء الله تعالى.

وهذا الثاني يذكره العلماء في كتبهم ضمن معاني (آمين)، ولا يجعلونه قسيماً للأول، إلا الزجاج فقد وجدته يذكر هذين المذهبين في آمين صراحة فيقول: " اختلف في (آمين) فقال قائلون: إنه اسم من الأسماء التي سمي بها الفعل نحو: صَهْ، ومَهْ وإيهِ، ورُوَيْدَ، وما أشبه ذلك. وقال قائلون: هو اسم من أسماء الله" (١٦)

وهذا هو الصحيح المتعين في قسمة الكلام على (آمين)، لأن الخلاف بين المذهبين هنا خلاف جوهري في حقيقتها وماهيتها وتوصيفها النحوي، وليس خلافاً في معانيها ولغاتها وشواهدها فحسب. وهذا تفصيل القول في المذهبين:

أولاً: (آمين) اسم فعل :

يذكر النحاة هذه الكلمة في مبحث أسماء الأفعال من كتبهم. فهي عندهم اسم فعل أمر – ويعبرون عنه بالطلب تأدباً مع الحق جل شأنه – معناه: استجب، في المشهور من الأقوال، فهو موضوع في موضع هذا الفعل، كسائر أسماء الأفعال الدالة على الأمر، نحو: صَهْ بمعنى اسكتْ، ومَهْ بمعنى انكففْ، ورُوَيْدَ بمعنى أمْهِلْ.(١٧)

والمقرر عند النحاة أن أسماء الأفعال تكون موافقة لأفعالها في التعدي واللزوم، فتعمل عمل ما هي بمعناه، فإن كان الفعل متعدياً كان اسم الفعل متعدياً، وإن كان الفعل لازما كان اسمه كذلك.

فصه – مثلاً – فعله اسكت، وهو لازم، فكان (صه) لازماً مثله، و(رويدَ) فعله أمهلْ، وهو متعدٍ، فكان (رويدَ) مثله متعدياً نحو (رويد زيداً) مثل (أمهلْ زيداً)(١٨) وهذا لا يصدق على (آمين) فإنه لازم، والفعل الذي هو بمعناه متعدٍّ بمعنى استجب، لأن المعنى: استجب دعائي، مثل: أجب دعائي، فهما بمعنى كما قال الجوهري وغيره.(١٩)

والدليل على مخالفة (آمينَ) لفعله في ذلك أنه يقال: استجب دعائي، ولا يقال: آمين دعائي، إذ لا مفعول لآمين عند النحاة. ولذا احترز بعضهم بقوله: " غالباً " في بيان موافقة أسماء الأفعال لأفعالها في تعديها ولزومها. قال السيوطي: " واحترز بغالباً من آمين، فإنه بمعنى استجب وهو متعدٍ، ولم يحفظ لها مفعول".(٢٠)

ففيه على هذا خروج عن الغالب، وعلله بعضهم بأنه لم يمكن جعل (آمين) بمعنى فعل موافق له في اللزوم، لعدم وجود ذلك الفعل، بخلاف (مَهْ) – مثلاً – فقد وجد الفعل الذي يوافقه في ذلك وهو انكففْ.(٢١)

ويفهم من كلام العصام الإسفراييني أن لآمينَ مفعولاً محذوفاً وجوباً، وذلك أنه لمّا خُصَّ استعماله في الدعاء استُغْنِيَ عن ذكر مفعوله[٢٢]. فيمكن أن يقال على هذا إن (آمين) متعدٍّ في معنى فعل متعدي.

وسيأتي في معاني (آمين) أن منها ما هو لازم نحو (كذلك فليكن) وعليه فآمين لازم في معنى فعل لازم. فهذه ثلاثة احتمالات في (آمين) لم أجد من ذكرها من النحاة مجتمعةً، وقد استنتجتها من أقوالهم.

أما الوضع في (آمين) فهو — كسائر أسماء الأفعال - موضوع مكان لفظ الفعل مقصوداً بهِ المعنى لا نفس اللفظ فإذا قيل: آمين، فهم منه لفظ استجب أو ما يرادفه مقصوداً بهِ طلب الاستجابة، لا مقصوداً به نفس اللفظ، فهو موضوع لما هو أعمُّ من لفظ استجب ومن مرادفِهِ.[٢٣]

وفي عبارات بعض النحاة أنَّ آمين موضوع موضع اسم الاستجابة، كما قيل في (صه) إنه موضوع موضع (سكوتاً). نص على ذلك الزجاج وغيره مع تصريحهم بأن آمين بمعنى استجب. وقد يومئ إلى ذلك أيضاً قول بعضهم في تعريف آمين إنه اسم موضوع لاستجابة الدعاء.[٢٤]

والأول — اعني أنها موضوعة موضع الفعل — أشهر وأظهر من هذا القول، وهو مناسب لبناء أسماء الأفعال، لأن سبب بنائها — على الراجح — وقوعها موقع الفعل كما سيأتي.[٢٥]

ويعبر بعض النحاة عن آمين) بأنه صوت سمي به الفعل. وهذا تعبير شائع فيها وفي سائر أسماء الأفعال، قال الزمخشري[٢٦]: " آمين صوت سمي به الفعل الذي هو استجب، كما أن رويداً، وحيَّهَلَ، وهلمَّ أصوات سميت بها الأفعال التي هي: أمهلْ وأسرعْ، وأقبلْ ". ومرادهم بالصوت اللفظ، ذلك أن أسماء الأفعال بمنزلة الأصوات في كونها غير مشتقة من فعل[٢٧]. ولهذا جمعهما بعض العلماء في فصل واحد من كتابه.[٢٨]

ومعلوم أن أسماء الأفعال على ثلاثة أقسام من حيث التعريف والتنكير: فالأول ملازم للتعريف لا يفارقه، ومن ذلك (آمين) فهو معرفة أبداً، ذلك أنه لم يسمع منوناً. والثاني ملازم للتنكير، وهو ما لم يسمع إلا منونا مثل (إيهاً) في الكف، و (ويَهْا) في الإغراء، و (واهاً) في التعجب. والثالث استعمل بالوجهين: فينون مقصوداً تنكيره، ويجرد من التنوين مقصوداً تعريفه، نحو (صهٍ) و (أفٍّ)[٢٩]. ولذا قال ابن مالك[٣٠]:

واحكمْ بتنكير الذي يُنَوَّنُ منها وتعريفُ سواهُ بيِّنُ

وقد نبه الشارح الرضي إلى أن المراد بالتنكير هنا تنكير لفظ اسم الفعل لا تنكير الفعل الذي هو بمعناه، لأن الفعل لا يوصف بنكرة ولا بمعرفة. ثم إن تنكير هذه الألفاظ إنما هو باعتبار مصادرها التي كانت هي بمعناها قبل أن تصير اسم فعل.[٣١]

و(آمين) جملة مركبة وكلام تام من فعل واسم، وهذا بناء على أن معناه استجب. وقد نقل ذلك عن أبي علي الفارسي، وقال به الزجاج وغيره. واستدلوا عليه بأن نبيَّ الله موسى لمّا دعا على فرعون وأتباعه وقال: ﴿رَبَّنَا اطْمِسْ عَلَى أَمْوَالِهِمْ وَاشْدُدْ عَلَى قُلُوبِهِمْ﴾[٣٢] قال هارون: (آمين) فطبق الجملة بالجملة في موضع اسم الاستجابة فكما أن قول موسى: (ربنا أطمس على أموالهم) جملة مستقلة وكلام تام، كذلك قول هارون: (آمين) جملة مستقلة وكلام تام. قال الزجاج: " ولولا أنه كذلك لم يكن هارون داعياً، لأن من تكلم باسم مفرد أو كلمة مفردة لم يكن داعياً، كما لا يكون آمراً ".[٣٣]

و(آمين) مبنى كسائر أسماء الأفعال، وهذا موضع اتفاق بين النحاة. وعلة البناء عند جمهورهم وقوعها موقع مبنى الأصل، وهو فعل الأمر أو الماضي، وهو في (آمين) وأخواته من نحو: صه، ومه، ورويد فعل الأمر لأن معانيها كذلك.

وقيل: علة البناء مشابهتها مبني الأصل. وقيل: تضمنها معنى الفعل. وقيل: كونها أسماء لما أصله البناء وهو الفعل مطلقاً[٣٤]. ولا أرى كبير فرق بينها.

وقيل: بنيت لشبهها بالحرف في كونها مؤثرة غير متأثرة.[٣٥]

وذهب ابن جني إلى أن بناء (آمين) وسائر أسماء الأفعال الدالة على الأمر هو تضمنها معنى لام الأمر، وعلله بقوله: "ألا ترى أن (صه) بمعنى اسكت، وأن أصل أسكت: لتسكت، كما أن أصل قم لتقم، واقعد لتقعد. فلما ضمنت هذه الأسماء معنى لام الأمر شابهت الحرف فبنيت، كما أن كيف، وأين، ومَن، وكم لمّا تضمن كل واحد منها معنى حرف الاستفهام بنيَ، وكذلك بقية الباب". ثم ضعف قول من قال: إن علة البناء وقوعها موقع الفعل، إلا إن أراد القائل بذلك أن وقوعها موقع فعل الأمر قد ضمنها معنى حرف الأمر، فيكون قوله صحيحاً، وأما إن أراد أن علة البناء هي نفس وقوعها موقع الفعل فعده فاسداً. وقد نسب ابن جني اختياره هذا لسيبويه وجماعة من النحاة[٣٦].

والأصل في لفظة آمين أن تكون مبنية على السكون، لأنها بمنزلة الأصوات في عدم الاشتقاق من فعل كما تقدم، لكن فتحت النون فيها في الوصل لالتقاء الساكنين كما في نحو أينَ، وكيفَ، ورُويدَ. وعللوا اختيار الفتح في درج الكلام دون الكسر بأن قبل الياء في (آمين) كسرة، فلو كسرت النون على الأصل في التخلص من التقاء الساكنين لوقعت الياء بين كسرتين، والكسر بعد الياء مستثقل أصلاً، أما الفتح معها فهو أخف من سائر الحركات كما هو معلوم.[٣٧]

وأما محل (آمين) من الأعراب فيجري فيه الخلاف الجاري في أسماء الأفعال على وجه العموم. فذهب كثير من النحويين إلى أن أسماء الأفعال لا محل لها من الإعراب، ونسب هذا للأخفش، واختاره مالك، وقيل هو مذهب الجمهور.

وحجة هذا المذهب أن الأفعال التي قامت هذه الأسماء مقامها لا محل لها من الأعراب فكذلك هي. أو لأنها موغلة في البناء، ورد هذا بأنها أسماء، والأسماء لابد لها من إعراب ظاهر أو مقدر.[٣٨]

ويرى بعض النحاة أنَّ لأسماء الأفعال محلاً من الإعراب، واختلفوا في ذلك، فذهب أبو علي الفارسي إلى أنها في موضع نصب على المصدرية مثل سقياً ورعياً. ورد البعض هذا بأنها لو كانت كذلك لقدر معها الفعل كما يقدر مع سقياً ورعياً، ولنصبت نصب المصادر، فتكون معربة، فتخرج عن وضعها.(٣٩)

ونقل عن المازني ومن وافقه أنها في موضع نصب بمضمر، ونقل هذا عن سيبويه وأبي علي الفارسي أيضاً(٤٠). ويمكن أن يكون هذا القول عين ما نقل عن الفارسي أنفاً.

وذهب آخرون إلى أنها في محل رفع بالابتداء، وأغناها مرفوعها عن الخبر كما أغنى في مثل (أقائمٌ الزيدانِ)، وهو قول ابن الحاجب(٤١). وعلى هذا يكون تقدير (نَزالِ) مثلاً: النزول مطلوب منك، ونحو ذلك. وقد ردَّ هذا القول وضعفه جماعة من النحاة منهم الشارح الرضي.(٤٢) .

ثانياً: (آمين) اسم من أسماء الله :

هذا هو القول الثاني في حقيقة آمين، فهي على هذا ليست اسم فعل، بل اسم منادى من أسماء الله تعالى، فقول القائل بعد الدعاء: آمين، تقديره يا آمين.

وهذا المذهب قال به جماعة من السلف وأكابر العلماء، ونقل في كتب عامة المصنفين الذي تكلموا على هذه اللفظة من أهل اللغة والنحو وعلماء الحديث وشرّاحه وعلماء التفسير والفقه. بعضهم حكى هذا القول منسوباً إلى من قال به، وبعضهم ذكره مرسلاً بلا نسبة، وبعضهم ردَّه وأقام الدليل على بطلانه.

وقد رويت في ذلك أحاديث وآثار، منها ما رواه الحافظ عبد الرزاق الصنعاني في مصنفه عن أبي هريرة الصحابي قال: " آمين اسم من أسماء الله عز وجل "(٤٣). وضعف سنده علماء الحديث(٤٤). وروى عبد الرزاق أيضاً عن هلال بن يساف التابعي مثله.(٤٥)

وزاد الزجاج على سند الحافظ عبد الرزاق مجاهداً بعد هلال بن يساف(٤٦). وهو وهم منه، فقد خرجت الحديث مسنداً إلى هلال بن يساف عن المصنف

للصنعاني، وهو راويه الوحيد كما تبين لي، وصرح جمهور العلماء بعزوه إلى مصنف عبد الرازق مسنداً إلى هلال.

ومجاهد هو ابن جبر التابعي، وقد نسب إليه القول بان آمين من أسماء الله تعالى مع هلال بن يساف وجعفر بن محمد (الصادق). ذكر ذلك عنهم القرطبي وابن عطية والثعالبي والواحدي وابن كثير من المفسرين.(٤٧)

وعزا الأزهري القول به إلى مجاهد وحده(٤٨). وذكره العيني عن أبي هريرة وضعفه، وعن هلال بن يساف(٤٩). وحكاه صاحب القاموس المحيط عن الواحدي في البسيط.(٥٠)

وروي فيه عن ابن عباس حديث يرفعه إلى النبي ﷺ ورده العلماء بأنه لم يصح سنده(٥١). ونقل القول به عن الحسن البصري التابعي أيضاً وذكره عنه بعض أهل اللغة.(٥٢)

وذهب ابن قتيبة – وهو من أكابر علماء اللغة – إلى أن (آمين) اسم من أسمائه تعالى، واقتصر عليه فلم يذكر غيره، فقد عقد في كتابه (تفسير غريب القرآن) باباً لاشتقاق أسماء الله – تعالى – وصفاته وإظهار معانيها قال فيه(٥٣): " وآمين اسم من أسماء الله" وشرَحه بأن المعنى يا الله، واضمر فيه (استجب لي) وجوباً، لأنه لا يجوز أن يظهر في الصلاة، لأنه كلام، وقال: إن ياء النداء قد حذفت منه.

وفصل ابن قتيبة الكلام في كيفية صيرورته (آمين) فقال إن اصلها (يا أمين) بقصر الهمزة، بمعنى: يا الله، فحذفت منها همزة أمين استخفافاً، لكثرة جريانها على ألسنة الناس، فمخرجها مخرج (آزيد) أي: يا زيد، و (آراكب) أي: يا راكب، وسمع عن العرب (آخبيث) يريدون يا خبيث.

ثم ذكر ابن قتيبة في مد الهمزة قولاً آخر سيأتي الاستشهاد له، وهو أنها مدت ليُطَوّل بها الصوت في الدعاء كما قالوا: (أوْه) مقصورة الهمزة، ثم مدوها فقالوا: (آوه) ليطولوا الصوت بالشكاية. وعلى هذا فهي قبل دخول المد (أمين)

وأصلها (يا أمين) مقصورة، فحذفت ياء النداء وهمزة أمين، ودخلت الهمزة للنداء مثل ما قالوا: أفلان وأزيد. وقد سمع أيضاً عن العرب (أربٍّ) أي: يا رب.

وإلى مثل قول ابن قتيبة ذهب أبو حاتم الرازي، فقد ذكر في كتاب الزينة ما ذكره ابن قتيبة، وقدَّر آمين: يا الله اشهد، وقال إنه لا يجوز إظهار (اشهد) لأنه كلام[٥٤]. وقدره ابن قتيبة (استجب) كما سبق نقله.

ونص ابن خالويه أيضاً على أن (آمين) اسم من أسماء الله تعالى، وقال إن معناه: يا آمين، أي: يا الله.[٥٥]

والأمين لم يرد في أسماء الله – تعالى – الحسنى المعددة في الحديث المشهور فيها. لكن ورد في بعض الروايات أنه اسم لله. قال الأزهري: "وروي من عدة طرق أن الأمين اسم من أسماء الله تعالى".[٥٦]

ونقل اللسان عن الأزهري أيضاً ما رواه عن حُمَيْد بن عبد الرحمن بن عوف عن أمه أم كلثوم بنت عقبة في قوله تعالى: ﴿وَاسْتَعِينُوا بِالصَّبْرِ وَالصَّلاةِ﴾[٥٧] قال: غُشي على عبد الرحمن بن عوف غشية ظنوا أن نفسه خرجت فيها، فخرجت امرأته أم كلثوم إلى المسجد، تستعين بما أمرت أن تستعين به من الصبر والصلاة، فلما أفاق قال: أغُشي علي؟ قالوا: نعم، قال: صدقتم، إنه أتاني ملكان في غشيتي فقالا: انطلق نحاكمك إلى العزيز الأمين. قال: فانطلقا بي فلقيهما ملك آخر فقال: وأيّن تريدان به؟ قالا: نحاكمه إلى العزيز الأمين، قال: فارجعاه فإن هذا ممن كتب الله لهم السعادة وهم في بطون أمهاتهم، وسيمتع الله به نبيه ما شاء الله. قال: فعاش شهراً ثم مات".[٥٨]

ولم يرتض أكثر العلماء هذا القول في (آمين) وردوه وأنكروه من عدة وجوه فقال الإمام ابن العربي: " ولا يصح نقله، ولا يثبت قوله"[٥٩]. ونقل النووي وابن حجر وغيرهما عن المحققين من العلماء وعن الجماهير إنكاره أو تضعيفه.[٦٠]

وتصدى لرده من أهل اللغة الأزهري والزجاج والعكبري وغيرهم[٦١].

ويمكن إجمال ما ردوا به هم وغيرهم في النقاط الآتية:

١. إن أسماء الله — تعالى — توقيفية لا تعرف إلا بالتلقي، ولم يرد بذلك نص من القرآن أو السنة المتواترة.

٢. إنه لو كان (آمين) كذلك لكان مبنياً على الضم، لأنه منادى معرفة أو مقصود كما قال العكبري. وقال الأزهري: وليس يصح ما قال عند أهل اللغة إنه بمنزلة (يا الله) واضمر (استجب لي)، ولو كان كما قال لرفع إذا اجري ولم يكن منصوباً.

٣. إن (آمين) مبني كبناء سائر أسماء الأفعال الموضوعة للأمر كصه، ومه، وايه، ورويد، وليس في أسماء الله تعالى اسم مبني على هذا الحد كما قال الزجاج وغيره.

٤. إن أسماء الله — تعالى — مفردة كلها، وليس فيها ما هو جملة، لأنها نوعان: إما صفة كعالم وقادر، أو مصدر كالعدل والسلام. و (آمين) جملة كما تقدم عن أبي على الفارسي وغيره، واستدل له الزجاج وأيده.

والراجح عندي أن (آمين) اسم فعل، وليس هو من أسماء الله تعالى. والذي يؤكد ذلك أنه دعاء كما يفهم من الأحاديث والآثار الكثيرة الواردة فيه وشروحها ويدل على ذلك نص بعض السلف، كقول عطاء الذي رواه البخاري: آمين دعاء.[٦٢]

واستدل الزجاج وغيره على أنه دعاء بإخفائه وعدم الجهر به في الصلاة بعد الفاتحة عند أبي حنيفة وأصحابه، لأن المسنون في الدعاء الإخفاء، بدلالة قوله تعالى: ﴿ادْعُوا رَبَّكُمْ تَضَرُّعًا وَخُفْيَةً﴾[٦٣] وقوله ﷺ لقوم رفعوا أصواتهم بالدعاء: (إنكم لا تنادون أصمَّ ولا غائباً).[٦٤]

هذا مجمل ما رد به العلماء قول من قال إن (آمين) اسم لله تعالى، وقد حاول بعضهم تأويل ذلك بأنهم أرادوا أن في (آمين) ضميراً مرفوعاً مستتراً راجعاً

إليه تعالى. فقول هؤلاء إنه اسم لله – تعالى – هو بالنظر إلى ذلك الضمير الذي اشتمل عليه لفظ (آمين) لا انه بلفظه اسم لله – تعالى- من دون ذلك الضمير كما في عالِم ورازِق ونحوهما.(٦٥)

المبحث الثاني – في لغات آمين.

في (آمين) لغات أوصلها بعضهم إلى خمس، لكن المشهور والمتفق على إثباته منها والذي ذكره أكثر علماء اللغة والنحو والحديث والتفسير لغتان: الأولى: أمين، بقصر الهمزة، والثانية: آمين بمدها، والثلاثة الباقية مختلف فيها، فلم يذكرها أكثر العلماء، وبعضهم ذكر منها واحدة، وبعضهم اثنتين. وأكثر الذين ذكروا هذه الثلاثة أو بعضها وصفوها بالشذوذ أو الضعف أو الخطأ.

وقد بسط اكثر العلماء الكلام في هذه اللغات في كتبهم حتى إن ذكرها قد استغرق معظم الحديث عن (آمين) فذكروا الصحيح منها والخطأ وأشاروا إلى الأدلة والشواهد، واثبتوا الآراء والأقوال والاختلافات. وفي كلامهم الكثير مما ينبغي تجليته وشرحه وبيانه وترجيح الأولى منه والأقرب. وسأتصدى لجميع ذلك وإن خرج الكلام فيه إلى حد الإطالة، ليكون هذا البحث شاملاً لكل ما يبحث عنه القارئ من ذلك، وكذا سأفعل في الكلام على معاني هذه اللفظة.

١. لغة القصر: والمراد بالقصر قصر الهمزة من دون ألف مد بعدها، فيقال: أمينَ، ووزنه فَعيل مثل يَمين، وهو وزن كثير في لغة العرب.

وهذه اللغة ذكرها ثعلب مع لغة المد الآتية واقتصر عليهما، وكذا فعل الزجاج، وعنيما اخذ أكثر أهل اللغة والنحو هاتين اللغتين وشواهدهما.(٦٦)

وشاهد هذه اللغة المشهور عند العلماء قول الشاعر.(٦٧)

تباعد مني فُطْحُلٌ وابن أمِّه أمينَ فزاد الله ما بيننا بُعْدا(٦٨)

وفيه تقديم وتأخير أي: زاد الله ما بيننا بعداً أمين، لان حق آمين أن تؤخر عن الدعاء وهو قوله (زاد الله ما بيننا بعداً) لان طلب الاستجابة يكون بعده، لكنه قدم اهتماماً به كما قالوا.(٦٩)

ومن شواهد هذه اللغة أيضاً قول الآخر.(٧٠)

سقى الله حيّاً بين صارةَ والحمى حمى فيدِ صوب المدجنات المواطرِ

أمينَ وردَّ الله ركباً إليهم بخير ووقّاهم حِمامَ المقادرِ

٢. لغة المد: أي بألف بعد الهمزة، فيقال: (آمين) على زنة فاعيل مثل ياسين، وليس هو من أوزان العربية كما سنبينه.

وشاهد المد المشهور في أكثر المصادر التي ذكرت آمين قوله:(٧١)

يا ربِّ لا تَسْلُبَنّي حبَّها أبداً ويرحمُ الله عبداً قال آمينا

ومن شواهده قول الآخر:(٧٢)

آمينَ آمينَ لا أرضى بواحدة حتى أبلِّغَها ألفينِ آمينا

واستشهد ابن خالويه على لغة المد هذه بقول الآخر:(٧٣)

صلّى الإلهُ على لوط وشيعتِه أبا عبيدةَ قُلْ بالله آمينا

ولغة المد هذه هي التي جاء عليها حديث الرسول ﷺ كما سيأتي، بل لم يجئ حديث واحد ولا أثر على غيرها من اللغات.

في أعجمية الممدود:

ذهب جماعة من العلماء إلى أن (آمين) بالمد أعجمي معرَّبٌ لأنه ليس في كلام العرب كلمة على وزن (فاعيل) بل هو من أبنية كلام العجم كهابيل وقابيل. وعليه فقيل إنه سريْاني، وقيل عَبْراني، وقيل غير ذلك(٧٤).

وقد نُسب القول بأعجمية (آمين) إلى الأخفش في إعراب القرآن المنسوب للزجاج[٧٥]، وذكر انه يرى عدم صرفه إن سمي به رجل. ونقل الزجاج أيضاً عن أبي علي الفارسي رد هذا القول بأنه لو كان أعجمياً فإنه لا يخلو من أن يكون اسم جنس أو منقولاً من معرفة، الأول نحو اللجام، والثاني نحو إبراهيم، وليس آمين واحداً منهما، فثبت أنه ليس بأعجمي. أما وزنه فيرى انه لا ينكر أن يجيء في العربية مع مجيئه في العجمية كهابيلَ ونحوِه، وذكر له أشباهاً من الكلمات التي جاءت أفراداً لا نظير لها مثل (إنْقَحِلّ)[٧٦].

ورد الآلوسي قول من قال بأنه أعجمي معرَّب (همَين) بأنه يكون وزناً لا نظير له، مع أن له نظائر[٧٧].

ورجح اكثر العلماء أن (آمين) بالمد عربية أصلها القصر، والمد نشأ من إشباع فتحة الهمزة. وقد نقل عن ثعلب أن (آمين) على إشباع فتحة الهمزة فنشأت بعدها ألف[٧٨].

وقال العكبري[٧٩]: " والمد، وليس من الأبنية العربية، بل هو من الأبنية الأعجمية كهابيل. والوجه فيه أن يكون أشبع فتحة الهمزة فنشأت الألف، فعلى هذا لا تخرج عن الأبنية العربية".

وقال المرادي[٨٠]: " وإذا مدَّ فقيل وزنه فاعيل وهو أعجمي. وقيل أصله القصر، ووزنه فعيل والمد إشباع، لأنه ليس في كلام العرب إفعيل، ولا فاعيل، ولا فَيعِيل. حُكي ذلك عن أبي علي".

وقال الرضي[٨١]: "ولا منع أن يقال: اصله القصر ثم مدَّ، فيكون عربياً مصدراً في الأصل كالنذير والنكير، ثم جُعل اسم فعل".

والقول بالإشباع منسوب للزجاج، وبه قال أكثر العلماء. ولهذا الإشباع شواهد كثيرة في كلام العرب[٨٢].

ويرى بعض العلماء أن مد همزة (آمين) أُريد به تطويل الصوت ليرتفع بالدعاء كما طول بالشكاية في (آوه) والأصل فيها (أوه) بقصر الهمزة، ومنه قول الشاعر[٨٣].

فـــأوْه مـــن الذكـــرى إذا مـــا ذكرتُـــــها

ومـــــن بُعْـــــدِ أرض بيننـــــا وســـــــماء

ذكر هذا ابن قتيبة، وأبو حاتم الرازي، وابن خالويه وغيرهم[٨٤]. وللمد توجيه آخر عند ابن قتيبة وغيره القائلين بان (آمين) اسم من أسماء الله تعالى، ذكرناه في موضعه.

وقد ضعّف الأنباري قول من قال بأن المد في آمين لإشباع فتحة الهمزة فقال[٨٥]: "وزعم بعض النحويين أن الألف نشأت من إشباع الفتحة كم نشأت في قراءة من قرأ: ﴿لا تَخَفْ دَرَكًا وَلا تَخْشَى﴾[٨٦] والقياس: ولا تخشَ، لأنه مجزوم بالعطف على لا تخف، إلا انه أشبع فتحة الشين فنشأت عنها الألف".

آراء العلماء في اللغتين:

استعرضت أقوال العلماء وتعليقاتهم وآراءهم فوجدت لهم من هاتين اللغتين مواقفَ ثلاثة: الأول ترجيح القصر، والثاني ترجيح المد، والثالث التسوية بينهما بذكرهما دون تعرض لأفضلية.

والفريق الأول — وهم عامة أهل اللغة والنحو وبعض المفسرين — يرون أن لغة القصر هي الأصل، وهي لغة أهل الحجاز. أما المد فهو لغة بني عامر، وهو في حقيقته إشباع لأمين المقصورة كما تقدم فيما نقلناه من نصوص[٨٧].

وممن ذهب إلى ترجيح القصر- من غير أهل اللغة والنحو - الإمام المفسر الفقيه أبو بكر بن العربي المالكي، فقد صرح بذلك في كتابين من كتبه: الأول في أحكام القرآن، فقد قال فيه: "[٨٨] وكلاهما لغة، والقصر افصح وأخصر، وعليها من الخلق الأكثر". والثاني في شرح الترمذي فقد نفى أن يكون سمع المد

أصلاً قال[٨٩]: " آمين: يمد ألفها ويقصر. وقد خلفت البحر ما سمعت أحداً يمدها، ولا بلغني إلى سد ذي القرنين". وهذا غريب منه، فالأحاديث التي شرحها في هذا الموضع من سنن الترمذي كلها وردت فيها (آمين) بالمد لا غير، ولم يشر إلى ذلك!!

أما الفريق الآخر فبعضهم يرجح المد على القصر ويراه الأصل مع جواز الوجهين، وبعضهم لا يجيز القصر أصلاً، أو يراه شاذاً أو مخصوصاً بالضرورة الشعرية. وهؤلاء عامة أهل الحديث والمفسرين، ومعهم طائفة من أهل اللغة والنحو، وحجتهم أن (آمين) بالمد في جميع الروايات.

قال الإمام المحدث النووي في لغتي آمين[٩٠]: "أفصحها واشهرهما وأجودهما عند العلماء: آمين، بالمد بتخفيف الميم، وبه جاءت روايات الحديث". وقال الحافظ ابن حجر في شرح البخاري[٩١]: "وهي بالمد والتخفيف في جميع الروايات، وعند جميع القراء" ثم قال: "وفيها ثلاث لغات أخرى شاذة". وذكر منها لغة القصر. وكذا قال العيني والشوكاني[٩٢].

وقدم الحافظ المفسر ابن كثير المد ثم قال[٩٣]: "ويقال: آمين، بالقصر أيضاً". ونقل عن تفسير الواحدي (البسيط) أن المد هو المستحب واستدل بالأثر الذي سنذكره عن الإمام علي رضي الله عنه [٩٤].

وقال بترجيح المد طائفة من أهل اللغة والنحو أيضاً. قال ابن الأثير[٩٥]: "يقال آمين وأمين، بالمد والقصر، والمد أكثر".

ونقل ابن منظور عن الزجاج أن المد أكثر [٩٦]. والذي في كتب الزجاج لا ترجيح فيه لإحدى اللغتين على الأخرى.

وفي كلام المحقق الرضي [٩٧] ما يشير إلى تقديم المد وأنه الأصل، والقصر تخفيف منه. وكذا يفهم من كلام ابن قتيبة الدينوري[٩٨].

ونقل عن ابن درستويه إنكار القصر أصلاً على ثعلب، وطعنه في الشاهد الذي ذكره وهو قوله:

تبـــاعد منـــي فُطْحُـــلٌ إذ دعوتـــهُ

أميـــنَ فـــزاد الله مـــا بيننـــا بُعـــدا

بأنه لضرورة الشعر [٩٩]. بل لقد أغرب القاضي عياض فيما ذكره عـن ثعلب من أنه خصص القصر بالضرورة،[١٠٠]. ويرده ما سـبق أن نقلنـاه عـن الفصيح، وفيه تصريح بأن المد لغة.

وأغرب من ذلك ما نقله الإمام النووي عن صاحب التحرير (شرح صحيح مسلم) فقد نقل عن جماعة من العلماء أن (أمين) المقصورة لم ترد عن العـرب، وأن الشاهد الذي ذكروه على لغة القصر لا يصح على الوجه الـذي رووه، إنمـا هو: (فأمين زاد الله ما بيننا بعدا)[١٠١]، ولم يتبين لي وجه ردٍّ لغة القصر علـى هذه الرواية. ثم إنَّ أكثر العلماء من نحويين ولغويين ومحدثين ومفسرين قد نصـوا على أن (أمين) بالقصر لغة، فمنهم من ذكرها مع لغة المد ورجح، ومنـهم مـن ذكرهما مع شواهدهما دون ترجيح. فمن هؤلاء من اللغويين والنحويـين: ثعلـب والزجاج وابن السكيت وابن خالويه وابن قتيبة والأنباري والجوهـري والزبيـدي وابن منظور والفيروزآبادي والأزهري والعكبري وابـن الأثـير وابـن يعيـش والراغب الأصفهاني.

ومنهم من المحدثين والمفسرين والفقـهاء: النـووي والقـاضي عيـاض اليحصبي وابن العربي والقرطبي وابن قدامة المقدسي وابـن عطيـة والواحـدي والثعلبي وابن جزي الكلبي. وغيرهم ممن سبق ذكر نصه فـي هـذا البحـث أو سيذكر في موضعه.

فكيف يصح بعد هذا إنكار لغة القصر أو تخصيصها بـالضرورة، وكـلام العلماء في إثباتها يكاد يصل حد الإجماع؟

الموازنة والترجيح :

لاشك عند الباحث في صحة وجواز لغتي القصر والمد في (آمين) بعد أن أثبتهما الجمهور من العلماء عن فصحاء العرب، وذكروا شواهدهما الصحيحة الدالة على ان كلاً منهما لغة.

ويمكن أن يشهد للغة القصر من الناحية النظرية أنها لغة أهل الحجاز، وهم افصح العرب، وأنها الأصل للغة المد بالنظر إلى المبنى، فقد صرّح أكثر العلماء بأن المد إشباع لفتحة الهمزة في (أمين) وتقدمت نصوصهم في ذلك.

ولكن الباحث – مع هذا – يرى أن لغة المد في (آمين) أفصح وأصح وأجود وأكثر استقامة مع الذوق السليم، وانسجاماً مع نصوص الشرع الحكيم. وهي وحدها التي ينبغي أن يتلفظ بها في الصلاة خاصة. ويمكن إجمال دواعي هذا الترجيح في ثلاثة أمور:

الأول : إن كلمة (آمين) لم تكن معروفة للعرب قبل الإسلام، فهي من الكلمات الإسلامية التي جاء بها الشرع وتلفظ بها النبي ﷺ أول مرة. وقد ذكرنا في مقدمة هذا البحث الحديث الدال على أن (آمين) مما أعطيته هذه الأمة ولم تكن لأمة قبلها، وأن (آمين) مما حَسَدَنا عليه اليهود، فهو من خصائص أُمة الإسلام. وقد نص بعض الأئمة على أن (آمين) بلفظها العربي هذا من أوليات هذه الأمة الدالة على فضلها وتقديمها، وأنها لم تكن معروفة قبلها. من ذلك ما قاله الإمام أبو بكر ابن العربي[١٠٢]: "هذه كلمة لم تكن لمن قبلنا، خصنا الله سبحانه بها. في الأثر عن ابن عباس أنه قال: "ما حسدكم أهل الكتاب على شيء ما حسدوكم على آمين".

وقال القرطبي[١٠٣]: " كلمة (آمين) لم تكن قبلنا إلا لموسى وهارون – عليهما السلام" ثم ذكر حديث: إن الله أعطى أمتي...الخ، وحديث : ما حسدتكم اليهود على شيء... الخ. وقد تقدما أول البحث.

وذكر أبو حاتم الرازي كلمة (آمين) في فصل الكلمات الإسلامية العربية من كتاب (الزينة) وذكر فيه الألفاظ التي لم تكن معروفة قبل الإسلام[١٠٤].

وعلى هذا فآمين كلمةٌ إسلامية ذات بعد شرعي ينبغي أن يتقدم على بعدها اللغوي اللفظي، وأن تؤخذ عمَّن قالها، وهو رسول الله ﷺ كما قالها وتلفظ بها. وقد أرشدتنا النصوص التي حفلت بها كتب الحديث أنه قالها ممدودة في جميع الروايات، ولم ينطق بها مقصورة أبداً، وكذا نطق بها أصحابه – رضوان الله عليهم – في حياته، ورددوها بعد مماته، وكذا قالها التابعون ونطقوا بها في مروياتهم، وتبعهم على ذلك مَنْ بعدَهم، فهي هكذا مذكورة في كتب الحديث المسندة لم يشذ عن ذلك كتاب واحد، ولا برواية واحدة.

فمن ذلك قوله ﷺ (١٠٥): (إذا قال أحدكم: آمين، وقالت الملائكة في السماء: آمين، فوافقت إحداهما الأخرى، غفر له ما تقدم من ذنبه). وقوله(١٠٦): (إذا قال الإمام: غير المغضوب عليهم ولا الضالين، فقولوا: آمين، فإنه من وافق قوله قول الملائكة غفر له ما تقدم من ذنبه).

وفي أحاديث أبي هريرة وعلي ووائل بن حجر وابن عباس وبلال من الصحابة – رضوان الله عليهم – نصوص صريحة على لفظ (آمين) بالمد من قوله ولفظه وتعليمه ﷺ(١٠٧).

ونص أئمة الحديث وشراحه، وعلماء التفسير والقراء، وبعض أهل اللغة على أن (آمين) بالمد في جميع الروايات وعن جميع القراء، وسبق نقل النصوص في ذلك.

فتوارد هذه النصوص النبوية والآثار والأخبار – مع كثرتها وتنوع رواتها – على رواية المد في (آمين) لا يدع مجالاً للشك في أن المد هو المتعيِّن، أو في الأقل هو الراجح، وخاصة في نطاق التعبُّد بها في الصلاة بعد الفاتحة وعند القنوت، لكونه لفظاً شرعياً لا يسوغ لنا تبديله أو تحريفه عن جهته التي ورد بها.

الثاني : إنه لم ينكر أحد من العلماء لغة المد هذه، غاية ما قيل إنها لفظة جاءت على غير أبنية كلام العرب، أو إنها نشأت من إشباع فتحة الهمزة في المقصورة، وهذا لا يخرجها عن كونها لغة، في حين وقع الخلاف في (أمين)